# مساعدة الفقراء

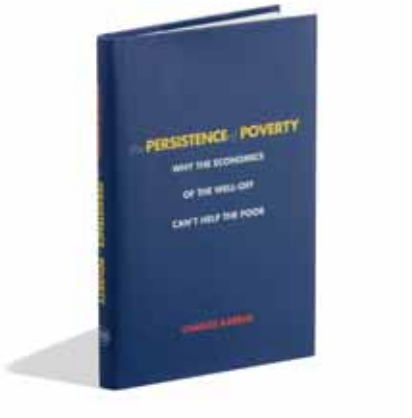


*Charles Karelis*

**The Persistence of Poverty**
**Why the Economics of the Well-Off Can't Help the Poor**
Yale University Press, New Haven and London, 2007, 208 pp., $30 (cloth).

حتى المجتمعات الغنية يوجد بها العديد من الفقراء. وبينما يبدو موقفهم أفضل مقارنة بالناس فى البلدان الفقيرة، إلا أن موقفهم أكثر سوءا من موقف نظرائهم. ونتيجة لذلك، فإنهم يشعرون بأنهم مستبعدون بلا حول أو قوة. أحيانا يكون الفقر نتيجة للعجز أو لكارثة طبيعية، لكن الكثير من الفقراء يقعون فيما يبدو فى فخ دائرة مفرغة من البطالة، والتعليم غير الملائم. وسوء استخدام الممتلكات والجريمة. وهم فى الغالب لا يحققون الاستفادة الكاملة من الخدمات الاجتماعية وغيرها من الفرص المتوافرة فى العديد من الاقتصادات المتقدمة.

## هل يفتقر الفقراء إلى التفكير الرشيد؟

إن استمرار الفقر يثير القلق، على حد سواء لشعورنا بالتعاطف مع الفقراء ولأن الفقر يرتبط بسلوكيات مثيرة للاضطراب مثل الجريمة. كما أنه مثير للحيرة، لأن الحكمة الاقتصادية التقليدية توحى بأن الفقراء لديهم حوافز قوية للعثور على عمل، والتعلم، وبصفة عامة يسعون لتحسين حياتهم. فإذا كان دخلك منخفضا، يجدر بك إيلاء الشعور بقيمة أعلى بصورة خاصة لما تكسبه من دولارات إضافية من خلال العمل لساعات أطول أو للمردودات المنتظرة من التعليم فى المستقبل. ويبدو الأمر كما لو أن الكثيرين من الفقراء لا يتصرفون بصورة رشيدة.

ويقدم لنا تشارلز كارلس، أستاذ الفلسفة فى جامعة جورج واشنطن، كتابا مثيرا للجدل يتحدى الحكمة التقليدية حول هذا الموضوع الباعث على الغيظ.

ويحاج كارلس، فى محاولة لإيضاح الاستمرار المحير للفقر، بأن علينا أن نعيد النظر فى فرضية أن المنفعة الحدية للاستهلاك تتناقص بصفة عامة مع مستوى الاستهلاك. وبدلا من ذلك، يقول، إنه عندما يواجه الفرد بالفقر، فإن المنفعة الحدية لوحدة استهلاك إضافية تتزايد. فإذا كنت فى حاجة ملحة للمال، فإن حصولك على زيادة طفيفة فى الاستهلاك أمر ليس له قيمة، لكن الحصول على زيادة ملحوظة أكثر فائدة بصورة غير متناسبة. ومن ثم، فإن الفقراء يحبون التنويع فى الاستهلاك ويخاطرون للخروج من إسار الفقر (ولو لفترة على الأقل).

ويحظى هذا الخط من التبرير بقدرة حدسية على الإقناع. لننظر إلى حقيقة اتجاه الفقراء الشره للإقبال على شراء أوراق اليانصيب، بالرغم من أن اليانصيب عادة ما يقدم مردودا سلبيا. وهم يقبلون عليها بسبب الفرصة الضئيلة جدا التى قد تحول مجرى حياتهم فى حالة الفوز. والواقع أن قلة قليلة من الناس قد تقدم على اللعب إذا كانت الجائزة الكبرى مجرد ١٠٠ دولار أمريكى، حتى وإن تضاعف عدد الفائزين مرات كثيرة. وبالمثل، فإن إغراء شرب زجاجة كحول كاملة، بدلا من رشف كأس من النبيذ، قد يكون أقوى إذا كان لديك الكثير من الأحزان لتغرقه.

وتلك الفرضية لها تداعيات سياسية مباشرة. إن جهود «جعل مردود العمل مغريا» بدعم الأجور التى يحصل عليها الفقراء (مثلا، من خلال تخفيض ضريبة الدخل) لابد أن تحدث تأثيرا مضاعفا – ليس فقط لأن الفقراء سيكون لديهم مبرر أكبر للإقبال على العمل، لكن أيضا لأن الدخول الأعلى ستؤدى فى حد ذاتها إلى زيادة القيمة التى يولونها للحصول على العمل وكسب المزيد. ومع ذلك، فإنه حتى الحسنة المباشرة التى تقدم للفقراء، برفع المنفعة الحدية للدخل، لابد أن تدعم حافز العثور على عمل وتحقيق المزيد من الكسب (وأيضا الادخار لمواجهة الأوقات الصعبة).

إن التداعيات السياسية لا تتساوى جميعها فى إثارة التفاؤل. فعلى سبيل المثال، فإن وجهة نظر كارلس تعنى ضمنا أن جهود الاعتماد على النفس مثل إنشاء مؤسسات التمويل متناهى الصغر أو المشروعات التعاونية، من غير المرجح أن تنجح بدون دعم كبير. فمادام الناس فقراء، فلن يكون فى مقدورهم الادخار، أو الاقتراض أو الاستثمار لأنهم (منطقيا) يفضلون الاستهلاك المباشر.

ويلمح مثال عمليات التمويل متناهى الصغر إلى وجود تضارب فى الكتاب بين التأكيد على الندرة المادية، حين يفترض أن المنفعة الحدية للاستهلاك آخذة فى التزايد، ومعالجة الفقر كمفهوم نسبى يرتبط بنقص التمكين من أسباب القوة.

**«إذا كنت فى حاجة ملحة إلى المال، فإن حصولك على زيادة طفيفة فى الاستهلاك أمر ليس له قيمة..»**

ويركز كارلس فى أمثلته على الفقر المادى. لكن ماذا يحدث لو أن الفقراء فى الولايات المتحدة كانوا أكثر احتياجا للاحترام – لأنفسهم وفى عيون الآخرين؟ فعندئذ لن تحسن عمليات الدعم وغيرها من المعونة الموجهة موقفهم كثيرا بل قد تجعله أكثر سوءا.

وفى دفاع كارلس، لابد من القول بأن التفسيرات الأخرى لاستمرار الفقر (مثل نقص الفرص) قد تؤدى إلى توصيات سياسية مماثلة. لكن القارئ – إذا ما كان اقتصاديا مدربا – فلابد أن يشعر بالإحباط من اعتماد المؤلف على الكلمات مع قلة من الرسومات البيانية البسيطة. والحقيقة، فإن بعضا من النقد الذى تردد هنا كان فى الإمكان تلافيه بعرض أكثر دقة للفرضية الرئيسية والمقارنة مع البدائل، على أن تعقب ذلك اختبارات تجريبية.

لكن تلك المقترحات يجب ألا تنتقص من النظرة الثاقبة الرئيسية: إن أى تفسيرات لاستمرار الفقر، والسياسات الرامية إلى انتشال الناس من وهدة الفقر، لابد أن تأخذ فى اعتبارها تماما، آثار الفقر نفسه على دوافع الفقراء.

دانييل هاردى
رئيس شعبة
دائرة أسواق المال والنقد
بصندوق النقد الدولى

# تفسير الاستدامة الاقتصادية

*Mohan Munasinghe*

**Making Development More Sustainable**

**Sustainomics Framework and Practical Applications**

MIND Press, Colombo, Sri Lanka, 2007, 650 pp., $40 (paper).

بعد تبنيهم لمسمى التنمية المستدامة، جاهد معظم المحللين فى البدء للاتفاق على اتفاق جيد لما تعنيه فى التطبيق. وسرعان ما توالت تحديات أخرى، بما فيها كيفية استحداث مقاييس كمية للعوامل ذات الصلة، وكيفية التوصل لوحدة قياس مشتركة لمعالجة الأهداف المتضاربة عادة، وكيفية تفسير أسباب فشل العديد من الحلول «المرضية لكافة الأطراف» لدعم التنمية المستدامة فى الحصول على قوة الدفع اللازمة. وكان التحدى الكبير، فى الآونة الأخيرة، هو إدراج تغير المناخ فى إطار تحليلى شامل للتنمية المستدامة.

والبروفسير مونا سينغ، الذى تقاسم أخيرا جائزة نوبل ٢٠٠٧ مع آل جور، بوصفه نائب رئيس الفريق الحكومى الدولى المعنى بتغير المناخ مع غيره من الزملاء، هو مناصر قديم العهد للربط بين الجوانب الاقتصادية، والإنسانية والبيئية للتنمية. وقد استحدث إطار عمل تحليلى جديد للقيام بذلك، ويعرف باسم «الاستدامة الاقتصادية». ويلخص هذا الكتاب ما تم إحرازه من تقدم فى نظرية وتطبيق الاستدامة الاقتصادية ويعد نتيجة لمسح شامل لأقصى حد للأدبيات المتعلقة بالموضوع، تم إنجازه من خلال دراسات للحالات.

يفسر مونا سينغ، فى الجزء الأول من الكتاب، العلاقات المعقدة التى تقوم عليها الاستدامة الاقتصادية. والنتيجة التى لا تبعث على الدهشة فيما يبدو تتمثل فى عدم وجود مقياس مقبول للتنمية المستدامة يتفق ومقاييس التنمية الاقتصادية.

ويقدم مونا سينغ آليات بديلة – أقل من أن تكون كاملة – لمساعدة المحللين على إدراج تدهور البيئة والتكلفة الاجتماعية فى التحليل. ويناقش الحدود التحليلية لأسعار الخصم السالبة بالنسبة للتحديات طويلة الأجل، بل ويبدو أنه، فى مرحلة ما، يتنبأ بالمراجعة الصارمة حاليا لاقتصاديات تغير المناخ، التى تهدف إلى بناء نظرية اقتصادية كما يمليها علم تغير المناخ.

## تطبيق النظرية

وبعد عرضه لحدود الاستدامة الاقتصادية، يقدم مونا سينغ بمزيد من التشويق الجزء الثانى من الكتاب، بما يحتويه من دراسات ممتازة ومتنوعة للحالات.

وتظهر تلك الدراسات كيف أصبح الإطار التحليلى، فى بعض الحالات على الأقل، قويا بدرجة كافية لاستخلاص استنتاجات قوية. فعلى سبيل المثال، نحن نعلم أن بوليفيا لا تسير فى طريق التنمية المستدامة وأن مخصصات الفرد من انبعاثات غاز الدفيئة تحقق أكبر معدل من مكاسب الرفاهية.

ويقدم الكتاب أيضا تحليلا من الطراز الأول لقطاع النقل فى سرى لانكا، والذى يجمع بين الأبعاد الفنية، والبيئية، والاجتماعية فى تقدير كمى مدهش للتكلفة الصحية للملوثات. وتبرز حقيقة أن بعض النتائج جاءت خلافا للمتوقع – فعلى سبيل المثال، انتهت إحدى حالات الدراسة للاعتراض على كهربة السكك الحديدية، إلى أهمية التحليل الجيد لدعم اتخاذ القرار.

## الأوقات القادمة أكثر إشراقا

يمكن استشعار التفاؤل الكامن للبروفسير مونا سينغ، طوال صفحات الكتاب: سوف تتحسن الأشياء مع ارتفاع الدخول ومع تزايد الوعى بالقضايا البيئية الذى يؤدى إلى انتهاج سياسات أفضل. إلا أنه إذا كان الأغنياء يتسببون فى زيادة تدهور البيئة بمعدل يبلغ من ٢٠ إلى ٤٠ مثل ما يفعله الفقراء، فهل ستساعد الدخول الأعلى البيئة حقا؟ أم أن البلدان الغنية ستحول ببساطة التلوث إلى البلدان الفقيرة أو إلى المشاعات الإقليمية والعالمية؟

وفى بحثنا عن إجابات فعالة، فإن التعويذة الأساسية لدى المؤلف هى أهمية إدراج التكاليف البيئية والاجتماعية، والحد من فشل الأسواق الذى يؤدى إلى التدهور، وتسعير الموارد الطبيعية لتشمل كافة الآثار الخارجية. وتدعم تلك التعويذة السائدة أدوات تحليلية تم عرضها بصورة جيدة. لكن ما السبب فى ندرة تطبيق تلك التعويذة؟ طبقا لما يقوله مونا سينغ، فإن الإغراءات البيئية لتخفيف الدمار الناجم عن التلوث لا تتكلف سوى ٥ فى المائة من تكلفة الاستثمار. وهذا يدعونا للتساؤل حول أسباب الانخفاض المحدود فى مستويات التلوث فى المدن الأكثر ازدحاما بالسكان.

وإجمالا، يمثل هذا الكتاب خدمة جيدة لمحلل السياسة، بما فيه من أدوات تحليلية، وتطبيقات واقعية، وثبت رائع للمراجع. لكن صانع السياسة الذى يحتاج لبذل الجهد للتوصل إلى بعض المقاييس الأساسية، قد لا يشعر بأن الكتاب قدم له خدمة.

ويشير الكتاب ولكن بأصبع واهنة لأنظمة الحكم، بالرغم من اعترافه بأنه فى التنمية المستدامة لا يتحكم أحد صناع السياسة وحده فى كافة الدوافع المعنية، ولا يوجد معيار واحد ولا مقياس واضح. إن قدرة ملتمسى الريع – الذين يعيشون على الموارد الطبيعية ويقوضون العمليات السياسية المشروعة – أسطورية. وصوت من يرغبون فى تغيير الأشياء، والذين قد لا يكون بعضهم قد ولدوا بعد، أضعف من أن يبلور عملية التغيير.

ويتوجه مونا سينغ إلى القيم، والمعتقدات، والدين لإيجاد حوافز أفضل لحماية البيئة للأجيال القادمة وتغيير المادية غير المستدامة للأزمنة الحالية. وربما يغفل، فى تلك العملية، عن إيلاء مزيد من التركيز وتقديم الأمثلة على دور المناصرة المستنيرة والسلطة القضائية السباقة فى تحقيق التغيير.

أناند سيث
مدير قطرى
جنوب وسط أوروبا
البنك الدولى

# جرينسبان بلا قيود

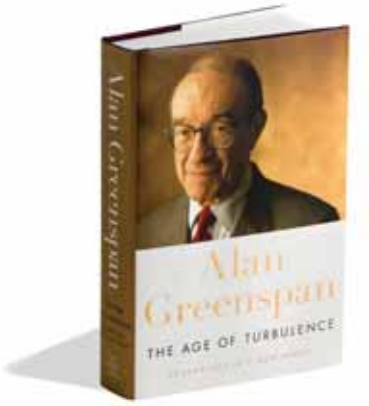


*Alan Greenspan*

**The Age of Turbulence**
**Adventures in a New World**
Penguin Group, 2007, 531 pp., $35 (cloth).

فى حفل لترويج كتابه الجديد، سئل آلان جرينسبان عن شعوره بعد اعتزاله رئاسة مجلس إدارة بنك الاحتياطى الفيدرالى. واقترح السائل ردا يقول «ربما يشعر بقليل من الدوار؟» لكن جرينسبان أجاب قائلا «لا، بل تخففت من الأعباء الملقاة على كاهلى». ومن يقرأ هذا الكتاب يحس براحة جرينسبان، لأنه بعد حوالى عقدين من الزمان كان يزن فيهما بدقة كل قرار وكل كلمة، أصبح قادرا فى النهاية على أن يلفظ حوالى مائتى ألف كلمة من اختياره هو.

وينقسم الكتاب إلى قسمين متساويين هما سيرة ذاتية ومجموعة مقالات عن المسائل الاقتصادية، ويعد القسم الأول كتابا فى حد ذاته ويغرى بالقراءة. يحكى جرينسبان قصة حياته بطريقة بسيطة ومشوقة. فقد نشأ فى مدينة نيويورك واستحوذت على اهتمامه الرياضيات والموسيقى إضافة إلى فريق نيويورك يانكيز للبيسبول. يكتب قائلا «تعلمت الكسور بضرب المتوسطات: فقسمة؟ ٣ على ١١ تساوى ٢٧٣ر.».

## عازف موسيقى الجاز الذى تحول إلى خبير اقتصادى

كان جرينسبان يرغب فى أن يكون عازفا لموسيقى الجاز. وأثناء تجواله مع أوركسترا هنرى جيروم، اشتهر بأنه «مثقف الفرقة» لأنه كان يقرأ كتبا عن البورصات ورجال المال أثناء الاستراحة. ولم يمض وقت طويل ليتحول من مسيرة عمله الموسيقى إلى مجال الاقتصاد. وقد تأثر فى بداياته باثنين من أشهر رجال الاقتصاد هما جيوفرى مور وآرثر بارنز. وقد اكتسب جرينسبان من مور الاهتمام بأساسيات الاقتصاد الأمريكى، ومن بارنز الاعتقاد بمقدرة الأسواق على تصحيح مسارها ذاتيا. وتدعم تأييد جرينسبان بحرية النشاط الاقتصادى بما أسماه «لقاء العقول – فى الغالب التقاء عقلى بعقلها» – مع الفيلسوفة إين راند.

وقد وجد جرينسبان مهنته كمستشار أعمال فى بداية الخمسينيات. وخلال العقدين التاليين كان لدى شركته الاستشارية، تاونسند – جرينسبان، قائمة تدعو للإعجاب من العملاء فى صفوف الشركات الناجحة فى الولايات المتحدة. إضافة إلى ذلك، قام جرينسبان بكتابة مقالات عن المسائل الاقتصادية، مما زاد من الاهتمام الذى كان يحظى به من الدوائر السياسية. وانتهى الأمر به إلى العمل فى وظائف متنوعة فى ظل حكم الرئيسين نيكسون وفورد، لكن الرئيس ريجان هو الذى أعطاه فى ١٩٨٧ دور عمره – رئيس مجلس إدارة بنك الاحتياطى الفيدرالى.

## من الانهيارات إلى الطفرات

تعرض اعتقاد جرينسبان عن اتجاه الأسواق إلى التصحيح الذاتى للاختبار فى بداية توليه منصبه عند انهيار البورصة فى أكتوبر ١٩٨٧، وهى أكبر خسارة للأسهم خلال يوم واحد فى تاريخ البورصة. وأصدر جرينسبان بيانا واضحا على نحو غير مميز مكونا من جملة واحدة تؤكد عزم مجلس بنك الاحتياطى الفيدرالى توفير السيولة للأسواق حسب الحاجة، تماشيا مع دوره كمقرض للملاذ الأخير. يقول «كانت الجملة قصيرة ومركزة مثل خطاب جيتيسبيرج، على الرغم من أنه ربما لم يكن بنفس القدر من الإثارة». وظل جرينسبان يتعرض لاختبار فى السنوات التى أعقبت انهيار ١٩٨٧. وقد تأخر فى الاعتراف بركود التسعينيات وربما كان أبطأ مما يجب فى تخفيض سعر الفائدة. كان ذلك بالتأكيد رأى الرئيس الأسبق جورج بوش، الذى قال عن جرينسبان فيما بعد: «لقد أعدت تعيينه لكنه خذلنى».

وكان جرينسبان أحسن حظا فى عهد كلينتون، حيث أدى التحكم فى العجز المالى إلى خفض توقعات التضخم، وبالتالى أسعار الفائدة طويلة الأجل. وقرن جرينسبان تلك السياسة المالية الممتازة بالمعالجة الماهرة للسياسة النقدية. وإذ اقتنع جرينسبان بأن التضخم يعاود الظهور للسطح، أصدر توجيهاته إلى اللجنة الفيدرالية للسوق المفتوحة برفع أسعار الفائدة فى ١٩٩٤، محققا بذلك تباطؤا فى النمو لكنه ليس ركودا – أى عملية هبوط سلسة. ثم قام بخفض أسعار الفائدة، ونشط النمو مرة ثانية ولكن بأدنى قدر من التضخم.

وفى منتصف التسعينيات، حاج جرينسبان بصورة مقنعة بأن الاقتصاد الأمريكى يمر بانفجار للإنتاجية غير مسبوق لم يدركه خبراء الإحصاء الحكوميون أو الأكاديميون. وقد ساعد الدليل الذى ساقه مارشال فى إقناعه لزملائه فى مجلس الاحتياطى الفيدرالى بالإبقاء على أسعار الفائدة منخفضة بأكثر مما كانوا يرغبون فيه فى غير ذلك.

بيد أن تلك الأسعار المنخفضة للفائدة ومناصرته لما يعرف بالاقتصاد الجديد ربما ساعدا فى دعم طفرات البورصة. وقد حاول جرينسبان التحذير من الإسراف فى التفاؤل، فى بيانه الشهير عن «الوفرة غير الرشيدة»، لكنه قرر فى النهاية أن مجلس الاحتياطى الفيدرالى عاجز عن اتخاذ القرار، فى الوقت الملائم، حول ما إذا كانت هناك طفرة وكيفية استغلالها.

## متوسط طيب للضرب

يعرب جرينسبان، فى القسم الخاص بالمقالات من الكتاب، عن شعوره العميق بالقلق إزاء تزايد عدم المساواة فى الدخل فى الولايات المتحدة، والإصلاحات التى تأخرت كثيرا فى مجال الضمان الاجتماعى والرعاية الصحية، والصراع للحفاظ على التوازن فى التنظيم عقب فضائح الشركات، «وإدمان بلاده للنفط». لكن الاقتصاد الأمريكى كان بالتأكيد سيصبح فى وضع أكثر سوءا اليوم، بدون تدخلات جرينسبان الناجحة بوصفه رئيسا لمجلس الاحتياطى الفيدرالى. وكان آلان بلندر، نائب الرئيس السابق فى المجلس، محقا فى مقارنته عهد فوكر – جرينسبان بالحظ الحسن لفريق «يانكيز نيويورك» عندما استطاع الفريق استبدال ميكى مانتل بجوديماجيو فى وسط الملعب. وفى مجال توجيه السياسة النقدية، كما فى البيسبول، فإن العظمة لا تطلب متوسطا متكاملا.

**براكاش لونجانى**
رئيس شعبة، صندوق النقد الدولى
دائرة العلاقات الخارجية

# الكتـــب

استعراضات

## تفسير أحوال أفريقيا

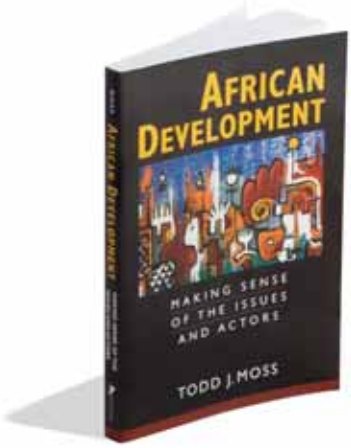


*Todd J. Moss*

**African Development**
**Making Sense of the Issues and Actors**
Lynne Rienner Publishers, Inc., Boulder, Colorado, 2007, 250 pp., $22 (paper).

**كانت** السنوات المبكرة لما بعد الاستقلال فى أفريقيا جنوب الصحراء مفعمة بالأمل، وسرعان ما ظهرت صناعة تنمية دولية لمساعدة البلدان الجديدة. إلا أنه كما نعرف جميعا، فإن تجربة المنطقة كانت مخيبة للآمال بصورة بالغة. وبغض النظر عن التحسن الأخير فى النمو الاقتصادى، فإن من غير المنتظر أن يحقق معظم البلدان أهداف الألفية الإنمائية بحلول ٢٠١٥ .

ولا يقدم تود موس حلولا أو إجابات قاطعة لأسباب ضعف الأداء الاقتصادى لأفريقيا بهذا القدر. ويرمى الكتاب بدلا من ذلك إلى «طرح مقدمة بسيطة، وليست ساذجة، كما نأمل، للأفكار، والاتجاهات، والقوى الفاعلة الرئيسية فى التنمية الأفريقية المعاصرة». وقد نجح الكتاب بدرجة كبيرة فى ذلك.

### «رجال عظام» وتركة رديئة

يقدم موس تقريرا سريعا عن التنمية فى أفريقيا جنوب الصحراء، بداية باستعراض تركة الاستعمار، ودور «الرجال العظام» والحكم الشخصى، والنزاعات والحروب الأهلية، والتغيير السياسى المعاصر والاتجاه إلى الديمقراطية. وهو يعالج مسائل التنمية الجوهرية، بما فى ذلك لغز بطء النمو، ومسائل فى الإصلاح الاقتصادى، ودور المعونة الدولية. ويختتم تقريره بمناقشة النزعة الإقليمية، ومكانة أفريقيا جنوب الصحراء فى الاقتصاد العالمى.

ويحتوى الكتاب على أربعة موضوعات أساسية. الأول، أن أفريقيا جنوب الصحراء لها تاريخ يبعث على الأسى وتواجه العديد من العوامل الهيكلية التى تعرقل التنمية، لكن التحدى هو تسخير المزايا الأخرى للإقليم والتغلب على تلك العقبات. الثانى، إن تغيير الوضع الأفريقى لتحسين الخضوع للمساءلة وإدارة الموارد أمر جوهرى لجذب تدفقات أكبر من المعونة. الثالث، يجب زيادة المعونة، لكنها ينبغى أيضا أن تصبح أكثر فعالية. وأخيرا، إن هناك مسؤولية مشتركة بين الإقليم والعالم لضمان قدرة المنطقة على الاستفادة من الفرص الاقتصادية العالمية.

ويؤكد موس قلة ما نعرفه عن عملية التنمية وما الذى يجعل المعونة فعالة. وهو ماهر فى عرض وجهات النظر المختلفة، والمتضاربة فى بعض

## الصين تنهض

**إن** التحول الجذرى للصين من بلد يخضع لتخطيط مركزى فى حالة احتضار إلى رابع أكبر اقتصاد فى العالم واحدة من القصص الساحرة فى عصرنا الحاضر. حقا، لقد كان التحول بالغ العمق لدرجة تبعث على التساؤل عما إذا كان القرن الحادى والعشرون سيصبح قرنا صينيا، مثلما كان القرن العشرون قرنا أمريكيا، وكان القرن التاسع عشر قرنا بريطانيا؟ إن كتاب الاقتصادى والمراسل الصحفى «ويل هتون» المسمى «الكتابة على الجدران» يعالج هذا السؤال مباشرة وبمهارة قصصية يندر وجودها فى الكتابات الاقتصادية والسياسية. فحججه مدروسة جيدا وبراهينه، التى قد تمس الموضوع مسا رقيقا فى بعض الأحيان، محدد بوضوح.

وفى الحقيقة فنحن هنا أمام كتابين. أحدهما يتناول التحول السياسى والاقتصادى للصين وتداعياته بالنسبة لبقية العالم. وهو يدرس احتمالات مواصلة الصين للنمو السريع فى ظل حكم الحزب الواحد. وتندرج فى ذلك مناقشة أقل نجاحا لمزايا التعددية الاقتصادية والسياسية.

إن أى قارئ يسعى للحصول على تفسير واضح ودقيق للنجاحات الاقتصادية للصين والتحديات سوف يجد ضالته فى النصف الأول من هذا الكتاب. ويبدأ هتون بنبذة موجزة لكنها صافية التفكير عن تاريخ الصين وتفاعلاتها مع بقية العالم. ويغطى ذلك المعاناة الاقتصادية لسنوات الرئيس ماو، بما فى ذلك عمليات إعادة التنظيم الجماعية المبكرة لوسائل الإنتاج، والوثبة العظمى إلى الأمام، وسياسة المساواة الجذرية. وقد خلق الفشل العميق لتلك الفترة توافقا فى الرأى حول الحاجة إلى إعادة تنظيم الاقتصاد، وقد تزعم عملية إعادة التنظيم فى ١٩٧٨ «دنج زياوبنج»، مهندس تخطيط الصين الحديثة. وقد أسهمت سلسلة من الإصلاحات، فككت التخطيط المركزى، وسمحت للأنشطة القائمة على السوق بالإسهام فى الزيادة المفاجئة فى النمو الاقتصادى الذى استمر ثلاثين عاما. ومع بداية القرن الجديد، بدأت الصين فى تحرير التجارة الخارجية بنجاح مذهل وساعد فيض من تدفقات

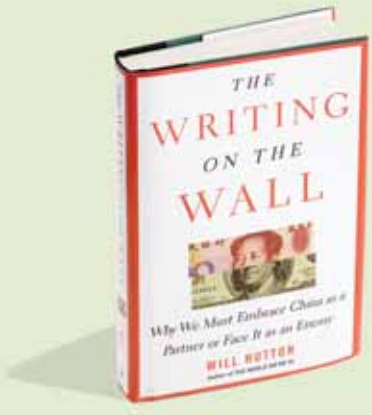


*Will Hutton*

**The Writing on the Wall**
**Why We Must Embrace China as a Partner or Face It as an Enemy**
Simon & Schuster Trade, New York, 2006, 432 pp., $28 (cloth).

الاستثمار الأجنبى فى تحويل البلد بين عشية وضحاها إلى أكبر بلد يقوم فى العالم بالتجميع الحاشد للسلع الاستهلاكية.

وتتسم حكاية هتون بالكثير من الرؤى الثاقبة.

الأحيان. وهو يسعى، وفى كل الأحوال، لتقديم صور للقضايا أكثر من تقديمه مقترحات «لحلول سحرية سريعة». لكن هناك جانبا سلبيا فى نهج «المسح» هذا. ذلك أن موسى لا يتمتع دائما بنظرة نقدية كافية للآراء المختلفة الواردة فى الأدبيات، مما يجعل القارئ يتساءل عما يتعين الإيمان به. مثلا، «لماذا تؤدى لعنة الموارد الطبيعية» إلى الصراع؟ هل يرجع ذلك إلى الصراع على الريع، أو نقص الخضوع للمساءلة أو ضعف المؤسسات؟

كما يبدو موس متناقضا مع نفسه فى بعض الأحيان. فمثلا، توحى مناقشته للنزعة العرقية والصراع بأن النزعة العرقية ليست مساهما رئيسيا فى الصراع. لكنه عندما يناقش الأشكال البديلة للحوكمة وتضاربها مع الديمقراطية الليبرالية. يحاج، جزئيا، بأن «معظم الصراعات الماضية والحالية فى أفريقيا بها مكون عرقى أو لغوى».

ومن المثير للدهشة أن الفصل المعنى بلغز تباطؤ النمو فى أفريقيا لا يتعرض لقضية البلدان التى حباها الله موارد طبيعية مهمة، مثل النفط الخام أو الألماس. إذ كان هذا التناول سيساعد فى توفير نظرة ثاقبة عن التحديات الفريدة التى تواجهها تلك البلدان.

وفى تناوله للإصلاح الاقتصادى وسياسات التصحيح، يبدو موس فى بعض الأحيان غير متأكد مما يحاج به. فهو، من ناحية، يؤكد أن المشروطية (على سبيل المثال، فيما يتصل بقروض صندوق النقد الدولى) كانت «فشلا كاملا تقريبا». ومن ناحية أخرى، يوافق على أن التصحيحات الهيكلية حسنت بصورة ملحوظة الإدارة الاقتصادية الكلية عبر أفريقيا كلها. والأمر غير الواضح هو الدور الذى تلعبه المشروطية. واليوم لا يوجد خلاف يذكر بين صناع السياسة فى أفريقيا على أن إصلاحات الجيل الأول كانت تهدف، على سبيل المثال، إلى تحقيق الانضباط المالى وأن الحد من التضخم ساعد فى إيجاد الظروف اللازمة للنمو القوى الذى يتمتع به الإقليم حاليا.

### دور التجارة

يطرح موسى مبررا قويا لزيادة تكامل أفريقيا جنوب الصحراء فى النظام الاقتصادى العالمى. لكن مناقشته للمكاسب المحتملة من التجارة ضمن الإقليم غير مشجعة. وكان فى مقدوره تأكيد أن العدد الكبير من ترتيبات التجارة الإقليمية لم ينجح فى دعم التجارة داخل الإقليم. وحاليا يوجد ما يزيد على ٣٠ من مثل تلك الترتيبات، مع إنتماء كل بلد إلى أربعة من هذه الترتيبات على الأقل. وكانت النتيجة حدوث تداخل فى الالتزامات وفى بعض الأحيان تضارب بينها. وقد أبقت القواعد المعقدة التقييدية المتعلقة بالمنشأ، إضافة إلى الحواجز الداخلية الأخرى، التجارة ضمن الإقليم منخفضة نسبيا مقارنة بغيرها من الأقاليم النامية.

وبالرغم من جوانب النقص تلك، فإن الكتاب يعد الكتاب التمهيدى الرائع لدارسى التنمية الأفريقية، ويوفر الجزء الخاص بالقراءات الإضافية فى نهاية كل فصل موارد إضافية لأولئك الراغبين فى الغوص عميقا فى تلك القضايا.

**كالفين مكدونالد**
مستشار
صندوق النقد الدولى – الدائرة الأفريقية

وخلافا لما حدث فى شرق أوروبا، لم يكن هناك انفجار عظيم من القمة إلى القاعدة فى الطريق إلى اقتصاد السوق – بل اتبعت الصين نهجا تدريجيا وبراجماتيا يسير من أسفل لأعلى للإصلاح (أو كما يقول هتون متدرجا ومتفاعلا)، «لكى تعبر النهر عليك تحرى مواقع الأحجار» كما قال دنج، وهو الأمر الذى استمر حتى الآن. كذلك يؤكد هتون دور الأحداث فى تفسير الكثير من جوانب النجاح، خاصة الازدهار المفاجئ فى الصناعات الريفية الصغيرة، والتجميع الكبير للمدخرات الذى أتاح فرصة للاستثمار المستمر، وتزايد العولمة.

وإذا كانت الأضواء قد سلطت بقوة على نجاحات فترة الإصلاح، فإنها سلطت بنفس القدر على التحديات التى تواجهها الصين حاليا. فمع تآكل القاعدة الأيديولوجية، بتبنى الحزب الشيوعى لنمو السوق، فإنه يكافح الآن من أجل الشرعية ويواجه الضغوط الاجتماعية الناجمة عن زيادة عدم المساواة فى الدخول، والفساد، وسرقة الأراضى، والتدهور البيئى. كذلك بدأت الضغوط الاقتصادية فى الظهور. إذ تهدد الضغوط الحمائية المتزايدة فى الخارج توسع الصين فى التصدير، بينما يجعل معدل الفاقد الاقتصادى نمو الناتج متوقفا بصورة متزايدة على مستويات الاستثمار العالية غير القابلة للاستدامة بأكثر من اعتمادها على مكتسبات الكفاءة.

**«يعتقد هتون أن قيام الحزب الشيوعى بدور عامل التوازن لا يمكن أن يستمر».**

فى ضوء المشكلات الاقتصادية والسياسية الحالية، هل يمكن استمرار الأداء الاقتصادى المرموق للصين؟ يرد هتون بأنه لا يمكن أن يتم ذلك بدون تغييرات سياسية كاسحة. إذ أنه بالرغم من إصلاحات السوق، لا يزال الحزب الشيوعى يحتفظ بشبكة عنكبوتية من السيطرة على كافة الروافع المهمة فى النشاط الاقتصادى، بدءا من المنظومة المصرفية – التى تدعم الاستثمار فى القطاعات الصناعية الكبيرة – وحتى اقتصاد القطاع الخاص. حقيقة، يعتقد الحزب أن مثل هذه السيطرة ضرورية لضمان معدل النمو المرتفع فى الأجل القصير الذى يعتبر أمرا حاسما بالنسبة لشرعية وجوده.

لكن آلية التنمية بدأت تفقد قوتها الدافعة، وتبقى الاقتصاد الصينى حبيسا فى اقتصاد منخفض الإنتاجية وقليل الابتكار. وتتطلب إعادة تزويد تلك الآلة بالوقود وجود البنية المؤسساتية الأساسية «الناعمة» التى ترتبط بالرأسمالية الناجحة: قضاء عادل، حقوق ملكية واضحة، مصارف ومراقبى حسابات مستقلين، صحافة حرة، حوكمة فاعلة للشركات، وحرية البحث الفكرى. ويعتقد هتون أن قيام الحزب الشيوعى بدور عامل التوازن لا يمكن أن يستمر، وسيكون للتغييرات الضرورية تداعيات مهمة على مقدرة الحزب فى إدارة الصين بوصفها دولة الحزب الواحد السلطوية. وسيحدد ذلك بدوره رد فعل العالم إزاء القرن الصينى.

**بريان ايتكن**
نائب رئيس شعبة
صندوق النقد الدولى –
دائرة آسيا والمحيط الهادئ